الفصل العاشر

اليهودية فى الحبشة وأديان أخرى

(١) يهود الحبشة :

فى الحبشة يهود سود ، يسمون الفلاشة [١]، وهى كلمة مشتقة من الكلمة الحبشية «فالاى» ومعناها منفى أو غريب ، و ينتسب الفلاشة إلى بنى إسرائيل ، ولاينازعهم فى هذه النسبة أحد من الحبشان .

ولا يعرف تاريخ مجيئهم من فلسطين إلى الحبشة ، على وجه التحقيق ، ويزعم الفلاشة أنفسهم ، أنهم جاءوا فى عهد الملكة مكدا ملكة سبأ ، المشهورة ببلقيس . والتى جاء ذكرها فى التوراة والقرآن ، وكانت بلقيس فى رواية الكتب المقدسة ، معاصرة لسليمان بن داوود ، فجىء لسليمان بنبئها ، وخبر ملكها العريض . وعرشها الفاخر ، وقومها الذين يعبدون الشمس ، فكتب إليها أن تترك عبادة الأوثان ، وتعبد الله مخلصة ، وألاتعلو عليه ، وأن تأتيه وقومها مسلمين .

فلما جاء بلقيس كتاب سليمان ، جمعت قواد جيشها ووزرائها ، ليفتوها فى أمرها وكان نقاش وجدل ، جنحت فيهما بلقيس شأن كل إمرأة ، إلى السلم ؛ وجنح وزراؤها وقوادها إلى الحرب ، وقال قائلهم : « نحن أولو قوة ، وأولو بأس شديد ، والأمر لك ، فانظرى ماذا تأمرين .

---

(١) يرى بعض العلماء الباحثين أن الفلاشة ليسوا من بنى اسرائيل وإن كانوا يهوداً ، وأنهم ليسوا بساحيين ، ولكن ينتون إلى المصريين القدماء والبربر بصلات ، وآية ذلك أنهم لا يتكلمون العبرية ولايعرفون التلمود .

قالت بلقيس إن الحرب مهلكة للحرث والنسل ، مدمرة للمدن ، ومعطلة للتجارة ، وإن الملوك إذا دخلوا قرية ، أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وإنى مرسلة لسليمان بهدية ، فناظرة بم يرجع المرسلون .

فلما جاء سليمان ، قال «أتمدونَنِ بمال ، فما آتانى الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود ، لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة ، وهم صاغرون » .

ولم يثر تهديد سليمان ووعيده بلقيس ، وتغلبت عليها طبيعة المرأة المسالمة ، وتناست إباءها ، وعصت نداء عزتها ، ونبذت مشورة قوادها . وطابت نفسها بالإذعان لسليمان .

وسارت ملكة سبأ [1] إلى دارة ملك سليمان ، مع بعض رؤساء دولتها . ودخلت بيت المقدس فى موكب مهيب ومعها جمال محملة طيباً وذهباً وحجارة كريمة .

فقابلها سليمان ، بكل حفاوة وتكريم . وأنزلها فى قصر منيف .

وكانت بلقيس تحضر مجلس سليمان ، فتسمع الحكمة وفصل الخطاب ، فسحرت بسحر بيانه ، وصبئت إلى دينه ، ورغبت عن عبادة الشمس . وأسلمت لرب العالمين وتزوجها سليمان ، ومكثت معه ما شاء الله أن تمكث . ثم تاقت نفسها إلى وطنها ....

---

(١) يرى الحبشان ، ويوافقهم بعض العلماء أن سبأ كانت بلداً فى الحبشة وأن بلقيس أو مكدة حبشية الأصل والمنبت ، ويخالفهم فى هذا الرأى بعض العلماء ، الذين لايستهان برأيهم ، ويرون أنها يمانيةوأن سبأ فى اليمن ، ويحتجون بأن بعض الهدايا التى حملتها بلقيس إلى سليمان لا توجد فى الحبشة ، ولكنها توجد فى اليمن .

والرأى الغالب الحديث أنها كانت ملكة لليمن والحبشة معاً ، وبذلك يصدق الرأيان إلاقليلا .

ويرى بعضهم أن بلقيس كانت ملكةلإحدىالمدن التىأنشأها السبأيون فىشمال الحجاز كمركز للتجارة ويحتجون بأن الرواية تدل على صغر ملك بلقيس ، وبقربه من ملك سليمان، انظر إلى تهديد سليمان فلنأتينهم بجنود ، لاقبل لهم بها . . هذا تهديد ملك لم يتجاوز ملكه فلسطين على الرغم من الروايات العربية المتواترة ، والإشارات الكثيرة الواردة فى الأدب العربى التى تدل على عظم ملك سليمان.

وسار معها سليمان يودعها . وأسر إليها أنها إذا ولدت ذكراً ، ترسله إليه .

وولدت فى الطريق ولداً أشبه الناس بأبيه سليمان .

ووصلت إلى مقر ملكها . وشب أبنها منليك ، وترعرع . ولما بلغ مبالغ الرجال سافر إلى مقر ملك أبيه ، وأمه كارهة . وفرح به أبوه . وأراد أن يوليه الملك من بعده ، فرفض فى أدب ، وفضل أن يرجع إلى أمه ، و إلى البلاد التى تربى فيها ، ونشأ على أديمها ، وشب بين أهلها .

ورأى سليمان صواب رأى أبنه ، فتوجه ملكا على الحبشة فى حفل كبير . ووعظه كبير الكهنة ، وقال له : « سر يا بنى على شريعة الله . واسلك السبيل القويم واعمل بما أمر الله . . . . . »

وأمر سليمان أن يرافق أبنه البكر ، أبناء بنى إسرائيل الأبكار ، ليكونوا له عوناً وعضداً .

ووصل منليك إلى الحبشة [٢] ، ففرحت به أمه وقومها ، وتنازلت له عن الملك . فتوج ملكا على أثيوبيا مرة أخرى وخاطبت الملكة بنى إسرائيل فقالت لهم « . . . . حافظوا على ولدى ، وعلموه محبة الله » .

فأجابوها قائلين : « أنت ملكتنا ومن أجلك . . . أتينا لنقيم هنا . »

فقالت لهم الملكة « أنتم إخواننا ، ورؤساء الشريعة ، علموا شعبى الدين والحكمة » .

واتخذ بنو إسرائيل ، رفقاء منليك ، الحبشة موطناً ، واتخذوا من فتياتها زوجات ، وانتشرت اليهودية فيها على أيديهم ، وأقيمت البيع فى إنحائها ، وطبقت القوانين الموسوية فى الفصل بين أهلها .

---

(١) فى رواية أخرى أن بنى اسرائيل رفضوا أن يملكهم ابن السوداء .

(٢) انظر قصة منليك ، وحادث سرقته تابوت العهد فى تاريخ الحبشة .

وعاش منليك بن سليمان ، ما شاء الله له أن يعيش ملكا على الحبشة ، ولما مات خلفه ملك من آله . وما زال الملك فى بيته ، كما يزعم الحبشان — إلى وقتنا هذا .

وفى القرن الرابع ، تنصر الحبشان والأسرة المالكة — كما قدمنا — وتمسك بنو إسرائيل بدينهم ، فلقوا بعض الاضطهاد والعنت ، فهاجروا إلى سهول تشلجا ودنبعة[1] وعاشوا فيها زمنا . ثم ضيق عليهم الخناق ، فاعتصموا بجبال سمين و بلسا (Semien & Bellesa) وجعلوها موئلا لهم . وحكمهم ملوك من أنفسهم .

وفى سنة ٩٦٠ م قادتهم ملكتهم جوديت ضد الحبشان فهزمتهم شر هزيمة ، وقتلت منهم خلقاً كثيراً ، وحاصرت الأسرة المالكة فى قلاعهم (Ambas) ، وذبحت أفرادها لم تبق على أحد منهم .

وحكم الفلاشة الحبشة أربعين سنة . وكان يسود حكمهم العسف والظلم والخراب والدماء والدمار .

وفى أوائل القرن السابع عشر ، هاجمهم الأمهريون واستولوا على حصونهم ومعاقلهم ، فتفرقوا ، وانتشروا فى كثير من الأقطار الحبشية ، كما شاء لهم قاهروهم .

و يقيم عدد كبير منهم الآن فى سهل دنبعة ، وفى قارا ووجارا ، وتشلجا ، وجوچام حيث يعرفون ببيعهم .

و يباهى الفلاشة بأنسابهم ، و يفاخرون بأجدادهم ، إبراهيم و إسحق و يعقوب . و يأبون كل الإباء أن يزوجوا بناتهم من الحبشان المسيحيين و يندر أن يتزوجوا من فتيات حبشيات .

و يتمسك الفلاشة رجالا ونساء بأهداب الفضيلة،وقل أن يحيد أحدهم عن الطريق

---

(١) لقد يسر عملها الوحشى إقامة جميع أفراد الأسرة المالكة فى قلعة (Amba) فى دير دامو، وهو تقليد قديم ، لايعرف كيف نشأ ، ولا متى بدأ ، ويزعم بعض الحبشان أنه بدأ فى عهد الملكة بلقيس (مكدا) ويزعم البعض الآخر أنه بدأ فى عهد أول مسيحى الملك ايزانس (Aeiganes)

القويم . ويحافظون على شعائر دينهم ، وبخاصة حرمة السبت ، الذى يبدأ الاستعداد له من ظهر يوم الجمعة ، فيذهب كل من لا يقعده المرض إلى الأنهار فيغتسلون ، ويلبسون لباساً جديداً ، ثم ينتشرون فى الحقول ، وسفوح الجبال حتى الغروب . فيذهبون إلى البيع ، حيث يصلون ويرتلون ويستمعون العظات وقصص الأنبياء ، ويبقون فيها إلى ساعة متأخرة من الليل .

وفى الصباح ينسلون إلى البيع للصلاة . وإذا ما قضيت الصلاة ، رجعوا إلى منازلهم ، حيث يتناولون طعام الغداء ، ثم ينامون ، أو يجتمعون زمراً ليسمروا .

والفلاشة مجدون فى أعمالهم . ويحسنون ما يعملون . فهم أمهر زراع الحبشة ، وأبرع صناعها ، وبخاصة صناعة الحديد . ويختلفون عن يهود الأقطار الأخرى فى أنهم يحتقرون التجارة .

ولقد دفعهم الاضطاد إلى التعصب الممقوت ، وإلى كره كل من ينتمى إلى غير دينهم . كما دعا كثيراً منهم إلى الفرار بأنفسهم إلى رءوس الجبال ، وجزائر البحيرات ليكونوا نساكا ورهباناً . ويزهد بعضهم فى الدنيا ويعمد إلى التخلص منها بالتردى فى الأخاديد السحيقة أو الإلقاء بأنفسهم من أعلى قلل الجبال .

ويروى عن أحدهم أنه رمى بنفسه إلى واد عميق يبغى الانتحار ، فنزل فى ماء النهر ، فكتب الله له السلامة . فلما خرج من الماء ، أخذ ينوح ويعول ، زاعماً أنه ليس أهلا للقاء ربه .

ومنهم من ينذر للرحمن صوم الأبد ، أو ألاَّ يكلم أحداً .

ويعرف الفلاشة باعتدال قاماتهم ، وبأن عيونهم أصغر من عيون الحبشان الأصليين وأشد منها سواداً ، وبأن ألوانهم أميل للبياض من ألوان الحبشان .

ويبغض الحبشان الفلاشة ، ولا يثقون بهم ، ولا يستريحون لقربهم ، ويرهبون جانبهم لاعتقادهم أنهم سحرة ماهرون ، فى قدرتهم تحويل أنفسهم ضباعاً وذئاباً .

وفى الحبشة طوائف تدين بأديان أخرى ، نكتفى بذكر طرف من أخبار بعضها .

(ب) الكمانت :

تسكن فى مقاطعة تشاجا طائفة من الحبشان يسمون كمانت ، يعتقدون فى كائن أعلى ، وفى حياة آخرة . ولهم قسيسون يبصرونهم بأمر دينهم . ويذهبون فى أوقات معلومة إلى صخور معروفة لهم ، يتعبدون أمامها بعبارات سرية ، غير معروفة لأحد غيرهم . ويعرفون اللغة الأمهرية ، ويكلمون بها الحبشان ، وتجار العرب . ولكنهم إذا خلوا إلى أنفسهم تكلموا بلغة الفلاشة . ويعتقد البعض أنهم من أصل يهودى ، لما فى وجوههم من ملامح شديدة الشبه بملامح يهود الحبشة .

ويزعم الحبشان أن السبب فى تسميتهم ، كمانت ، هو أن أحد ملوك تيجرى غزا سِمْينْ وأمهرا بعد تنصره . فوجد قوماً ، ليسوا بعباد أوثان ، ولا بمسحيين . فسألهم ماذا تعبدون ؟

فقالوا له بلغتهم كما أنت . أى نعبد ما تعبد . ولذلك سموا كمانت .

ويشتغل بعض الكمانت بالزراعة ، وبعضهم يرعى المواشى . وهم نشيطون ، وأهل جد وعمل .

(ج) الوثنيون :

وفى بعض أطراف الحبشة ، قبائل تعتقد فى السحر ، لهم كهان يأتمون بهم . أكبرهم ، وأعلاهم مقاماً ، وأكثرهم احتراماً منْزل الغيث (أى المطر) .

ويقيم منزل الغيث ، عادة مع أسرته ، بمعزل عن قومه ، على قمة تل أو جبل . ويحمل إليه أتباعه ما يحتاج إليه من ملابس وفاكهة . ويزرعون له حقله . ويطلق عليه أتباعه هذا الاسم لاعتقادهم أنه قادر على أن ينزل المطر متى شاء ، وأنى شاء ، ويطرد الجراد إذا أغار على زروع قومه .

وإذا ما خيب منزل الغيث هذا ، ظن قومه ، بأن احتبس عنهم المطر ، أو أتى

الجراد على زرعهم ، غضبوا عليه ، وتنكروا له ، وهاجموه ، ورجموه بالحجارة حتى يموت .

ومن عاداتهم المرعية ، أن يبدأه بالحصب أقرب الناس إليه . ويخلفه عادة أخوه ، إذا كان له أخ . وإن لم يكن له أخ ، فابن أخته .

وعلى ذكر منزل الغيث ، فإن كثيراً من الذين يدعون المسيحية أو الإسلام فى الحبشة ، لا يزالون متمسكين ببعض الشعائر الوثنية بشأن إنزال المطر . ولنضرب لذلك مثلا بأهل إجليو المسيحيين ، فإنهم كانوا يخرجون فى شهر يناير من كل سنة إلى الخلاء ، شاكى السلاح ، فيقتتلون قتالا شديداً ، تسيل فيه الدماء . وقد تزهق فيه الأرواح . وذلك استدراراً للمطر . وكان يستمر القتال فى الزمن السالف أسبوعاً كاملا .

ولقد هم الإمبراطور منليك الثانى بإبطال هذه العادة ، فأصدر أمره بمنعها . ومن أغرب المصادفات أن المطر ، فى تلك السنة ، كان قليلا جداً . فذوى الزرع ، وجف الضرع . فاضطر لإباحة القتال ؛ ولكنه قصره على يومين اثنين ، بدل أسبوع كامل .

ولا نعلم هل لا يزال هذا التقليد متبعاً ، أم عفت عليه المدنية بأذيالها .

ويعبد كثير من القبائل الوثنية السماء ، أو إله السماء . ويتقربون إليها زلفى ، بنحر أنواع من الحيوان ، على رءوس الجبال . ويقدسون الشمس ، لاعتقادهم أنها عين إله السماء . ويصدقون لحلول عدد من الأرواح فى الأنهار والأشجار ، فيتملقونها بتقديم النذور لها .